رحلة الامير بشير الاول الى مصر

للشيخ سلُّوم الدحداح

نشرها جناب الاديب الشيخ سليم الدحداح (تابع)

ومصباح الاحد نبَّه الصدر الاعظم على جميع قوَّاد العساكر تحضر في العُدَد والخيل كلّ وجاق (١ بوجاقهِ وكل رتبة برتبتها ويعاون آلاي من صيوان (٢ السور الى قناق (٣ الكومنده وكان مسافة ساعة . وعملوا آلاي على الصفَّين وفتحوا زقاق من قناق الكومنده الى صيوان الوزير فكان موكباً يدهش النظر . وركب الكومنده وصحبتهُ عشرة جنرالية فرنساوية وقدَّامهم السنجق من قناق الكومنده الى صيوان الوزير . ومن بعد المفاوضة امر الوزير باحد عشر كُرك سمُّور (٤ عظام الى الكومنده والعشرة الجنرالية الفرنساوية . والى ترجمان الكومنده فرو اقاقون (٥ . ثمَّ رجع الكومنده وصحبتهُ تلك (اولئك) الفرنساويين الى قناقه بين تلك الآلاي . ثمَّ حضر الكومنده لعند الامير بتلك (بذاك) الاتفاق . وفي ثاني يوم توَّجهوا الفرنساويه راكبين هجن

وعند الظهر ابتدأت المناداة في العرضي انَّ القيام بعد اربعة ايَّام فسير جميع الاوردي الى قطية (٦ وهي مسافة يومين من العريش وانَّ ناصيف باشا العظم (صار) والي مصر وانهُ يقوم الى الصالحيَّة لبين ما تخرج الفرنساويَّة من مصر الى الاسكندريَّة

ثمَّ حضر الكومنده لعند الامير وافهمهُ انَّ نهار بكره يرجع من قناقه لتسليم

---

١) اصل الوجاق موضع النار ثمَّ اطلقهُ الاتراك على الفرقة العسكريَّة المجتمعة حولها

٢) الآلاي المناورة والموكب في التركيَّة . والصيوان فارسيَّة اصلها صايوان ومعناها الخيمة والجوسق ٣) القناق والصراب فوناق بالتركيَّة المنزل والمقام والقصر

٤) الكرك الفروة . والسمُّور (martre) حيوان صغير تُصنَع من جلده الناعم الفراء الثمينة

٥) من آق التركيَّة اي الابيض

٦) قطية بلدة صغيرة على ساحل البحر بين العريش وغزَّة .

اغراض الامير ورجع الى قناقه . وفي ثاني الأيام ارسلني الامير الى عند الكومنده فسرتُ وعند وصولي رأيت عندهُ عثمان بيك الاشقر الذي قد كان حضر الى بتدين حين كانوا الافرنج على عكا فحين نظرتـهُ تعوقت الى ان قضى اشغالهُ وانصرف . فدخلتُ عند الكومنده فأفهمني انهُ صار مرادهُ يسافر في البحر وانَّ الامير ان اراد السفر في البرّ لهُ الاختيار فاعتذرتُ لهُ فسار الى عند الوزير وانا رجعتُ افهمت الامير . وبعد حضور الكومنده لعند الوزير الاعظم حضر الى عند الامير فـافهمه انَّ سفر البرّ مشقة عليه وسفر البحر انسب لهُ وجرى بينه وبينه جملة مفاوضات سرّية

ثمَّ توجّه الكومنده الى مركب الباوق وتوجّه الامير يودّع الكاخية فساق معهُ كلّ اكرام واجتمع بهِ ساعةً . ثم امر احد خدَمهِ ان يستأذن الصدر الاعظم في الدخول عليهِ فرجع الرسول يعزم الامير . فسار الى خيمة المنامة فاذن لهُ بالدخول واجلسهُ بجدّ فرشتهِ وبدأ يكلمهُ بالعربي قائلًا : يا امير انت ولد مخصوص لي . ثمَّ امر الوزير ان لا احد يبقى بقرب الخيمة وتكلّم معهُ بامور لا احد منَّا عرفها ثمَّ نهض الامير وقبل اتكهُ وانصرف . وافهم الوزير الى الترجمان : اني كنتُ اظنّ انَّ الامير بشير مثل بقيّة اولاد العرب ففي مدّة حياتي لم نظرتُ شخص مهذّب مقبول حلو الالفاظ مثل هذا الرجل . وقال لي الكاخية : يا يازجي انَّ الامير بشير فريد كامل المحاسن كما كنَّا نسمع عنهُ ومرادي ان تقول لهُ لا يحمل همّ . وقسم لي يمين في النبي محمّد انهُ حين يراهُ يفرح قلبه . وبعد انصراف الامير فرّق البخاشيش وبتنا تلك الليلة

ومصباح الاثنين حضر فيسال من عند الكومنده يعزم الامير الى المركب فسار حالًا نحو البحر . فحين نظر الكاخية الامير سائرًا امر حالًا لزاله ان يقدّموا لهُ حصانًا من خيلهِ بالعدّة الكاملة فركب الامير الى حدّ البحر ورجع الحصان ونزلنا في الفلايك الى المركب الذي كان اتى بالذخيرة لأن الكومنده رآه اهدى وقال للامير : سِر الى يافا وهنـاك تنزل الى مركبي . ثمَّ في السهرة حضر الكومنده لعند الامير وبيده مكتوب من قنصل بيروت يذكر بهِ انَّ عساكر الجزّار سارت الى بلاد جبيل والامير حسن ومن معهُ انهزموا الى صافيتا

ثمَّ انَّ قبل نصف الليل قلع المركب فوصلنا في الليل الثاني الى يافا وكان مسافر معنا في المركب افندي مرسلهُ الصدر الاعظم الى الدولة العليّة يخبر في تصريف امر

مصر . وافندي ثاني مرسلهُ الى الاسكندريَّة كي يبقى يعطي للمراكب الذي يوسقوا الفرنساويَّة اوامر بعدم المعارضة لهم . وفي وصولنا الى قبال يافا حضر فيسال يعزم الامير ليتزل الى مركب الكومنده فسار الامير وخدمهُ حالًا وفي وصولنا قوَّس المركب تسعة مدافع ولاقاهُ الى رأس الدرج وترحَّب بهِ وانزلهُ عندهُ في الكامرة الذي هي مكان منامته وجعل ستار قماش هندي بينهُ وبين الامير وقدَّم لهُ علبة الماس ثمينة واعطى الى الشيخ نجم قطعة قماش والى الفقير قطعة

ثمَّ ليلة الخميس قلع المركب من يافا طالبين قبرص فاصبح المركب قبال الكرمل ومصباح الاحد وصلنا الى قبال روشن (١ بيروت فقوَّس مدفع نيشان كي يحضر القنصل الى عنده وحالًا نزل القنصل وبو حسن رئيس المينا في فلوكه وحضروا الى عندنا واخبرونا انَّ الامير حسين متوجّه الى دير القمر . فحرَّر الامير الى اخوه يخبرهُ عن وصوله الى العريش وكلّ ما توقَّع معهُ ولكن ما شرح لهُ عن شيء خوفاً من وقوع المكتوب (في ايدي احد) وعرَّفهُ انهُ متوجّه الى الاسكندريَّة . وتوجّه في المكتوب مرعي بو ملهب وجرجس شاول لطرابلس في البحر

ونهار الاحد نصبوا على المركب طنده (٢ من صوف ابيض وازرق واحمر جلّت ظهر المركب ونصبوا كرامي وعملوا قرَّاية مجلّلة بستر ووضعوا عليها الانجيل والزبور وطلع الخوري لابس قميص سودا واستقامت الصلاة ساعتين (٣

وفي نهار الاثنين والمركب ساتر في الواسطة التقى في البنايطة القادمة من العريش وكان بها البادري نقولا القدسي (٤ فاكرمهُ الكومنده وترحَّب بهِ وكلفهُ يجلسهُ على المائدة معهُ . وقد اخبر عن قيام اوردي همايون (٥ من العريش الى قطية - ثمَّ نهار الثلثاء اصبح المركب على الماغوصة (٦ ومصباح الاربعة قبال اللَّاحة (٧

---

١) الروشن الفُرضة (فارسيَّة)

٢) هي خيمة السفينة . من الايطاليَّة (tenda)

٣) هي صلاة الاحد عند الانكليكان ٤) لعلَّهُ احد رؤساء الرهبان الفرنسيسكان

٥) الاوردو الهمايون هو الجيش التركي الذي في وطء السلطان او احد كبار الوزراء . ومعناهُ الجيش السعيد

٦) الماغوصة فرضة قبرص الشرقيَّة يدعوها الفرنج Famagouste

٧) اللَّاحة (Salines) مينا مدينة لَرْنكا في قبرص يدعونها la Scala

وبقي الى الغروب حتّى قدر رمى المرسى . وكان في المينا جملة مراكب انكليز ونمساوي ومسكب وعشاه فصلوا شنك (١ مدافع في البحر والبرّ لقدوم الكومنده

ومصباح الخميس عزم الكومنده الامير كي ينزل الى البرّ يشمّ الهواء وارسل الى القنصل يعزّل لهُ حارة في الارنكه (٢ وارسل معهُ قبطان كتز (٣ يمشي قدامه للقناق وارسل معهُ اربعة خُلدات بقوا واقفين امامه وترجمان يستقيم عنده . وفي وصول الامير الى دار القنصل للملاحة اجتمعوا سائر اكابر الانكليز الى عند الامير واتت حرمة القنصل بملبوس عظيم سلّمت على الامير . ثمّ حضرت العربانات وتوجّهنا الى الارنكه لعند ابن القنصل الكبير المتوفّى وهو ولد بشوش ابن اثنتي عشر سنة فالتقوا الامير هو ووالدتهُ بكل اكرام

وقد كان حين الامير نزل الى البرّ ارسل لهُ الكومنده الف ذهب اسطنبولي خرجيّة البرّ . ثمّ نزل الامير في دار سوسان عمّة ذلك الصبيّ وابتدأ يحضروا القناصل من جميع الطوايف والمضامات (٤ يسلّمون على الامير ويهنّوهُ بالسلامة . وتوجّه الامير الى طواحين الارنكا لانّ مطرحهم مفترج وتفرّجنا على محلّات يطول عنهم الشرح . وكان حين يمرّ الامير يقفون الجميع في الاسواق يأخذون السلام كعادة الوزراء وان كان احد راكباً يحوّل حالاً . ثمّ في ثاني الايّام حضروا قباطين المراكب من قبل الكومنده يسألوا عن خاطر الامير وان كان المطرح مناسب ام لا وان كان حضروا جميع الطوائف سلّموا عليه ام لا . فاستكثر بخير الكومنده واخبرهم انهُ حاصل على كل اكرام وانشراح

ثمّ في ثاني الايّام حضر الترجمان من عند الكومنده يخبر الامير انهُ كان نزل في البياده (٥ ليحضر لعنده فما امكنهُ من التوه . ثمّ مصباح الثلثاء حضر قبودان

---

١) اي خشة وترحاب

٢) الارنكة هي مدينة لَرْنكا من حواضر قبرس

٣) هذا اسم شرف كان الاتراك يطلقونهُ على امراء العرب الذين في خدمة الدولة

٤) المضامات تعريب الفرنسويّة Madame ولعلّها تصحيف المقامات

٥) البياده هم المشاة من الجند فارسيّة الاصل

كثر وعن يده مئلف مكاتيب اجت الى الامير من بلاد الدروز من اكابر الديره (١ ويسأل عن لسان الكومنده بان الامير يعرّفه عن الاخبار الذي في تلك المكاتيب. فردّ الامير جواب ان الشرح طويل ولكن حين ينزل الى البرّ يعرضهم عليه . وكان كلّ من يحضر في البحر يخرج يتفرّج على الامير ويسلّم عليه . وحضر جاويش قبودان (٢ وطلب مواجهة الامير وافهمني في التركي انّ الانكليز مقدّمين صورة الامر الى قبودان باشي (٣ عمارة العسمله . وارسلني لكي انظر الامير هل هو على موجب الصورة ام لا لانّ سعادة قبودان باشي هل قدر ابتهج من تلك الصورة . فعزمتهُ ودخل سلّم على الامير وقال لي: بالحقيقة انّ صورته اعظم من الصورة . ثمّ انصرف

ومصباح الاربعاء ارسل الامير فرنسيس دميان يسأل الكومنده ان كان هو متعوّق في البحر حتى يوجه لهُ المكاتيب . فحضر الكومنده حالًا الى الملّاحة وعند الغروب حضر لعند الامير وصحبتهُ موسى رَيت(٤ والقنصل وفيسال وبقي ساعة ورجع وان على بكرة يرجع ليقروا المكاتيب فقال لهُ الامير: انا الصبح اتوجّه لعندك. والكومنده يقول : انا احضر لعندك . ثمّ ثاني الايّام الصبح حضر اهالي البلد يسلّموا على الكومنده فما صار فطاوة . وصباح الجمعة قصد الامير يسبق ويتوجّه لعند الكومنده وفي وصوله اخبروه ان الكومنده بعده في الفرشة . وحين علم بقدوم الامير ارسل يعزمه الى عنده . فقال الامير : انا منشرح ها هنا الى ان يكون قام من النوم . فما قبل الكومنده ولزّ على الامير في الدخول بلجاجة والامير يعتفي من الدخول فما امكن حتى دخل وقابله وهو في ثياب النوم فقال الى الترجمان : ان ليس هي عادة اقابل وانا في الفرشه ولكن المحبّة تخرق العوائد . ثمّ اخبره عن التحارير الذي حضرت من البلاد وتفاوضوا في كلّ شيء وتفارقوا (وتوافقوا ؟) على تحرير الجوابات لأنّ الامير لم كان ينافي الكومنده في شيء

---

١) الديره في لغة العامّة القاطعة والابالة اصلها الدائرة

٢) اي القبطان الحاجب

٣) اي رئيس امراء البحر

٤) موسى رَيت(Wright) كان ترجمان القومندان سمث ويظهر من اسمه انهُ كان انكليزيًا

ثمَّ رجع الامير الى قنطاقه وفي السهرة ارسل لهُ مكتوب من قنصل طرابلس وداخله مكتوب من الشيخ بشير جنبلاط ذاكر فيه عن الضيم الذي حصل لهم وان البرَد (كذا) الذي من عبدالله باشا ما احد اعتبرها في ايالة طرابلس وانهم استقاموا ثلاثة ليالي في الشيخ عياش (١ تحت المطر . فانغمَّ الامير من ذلك

ومصباح السبت حضر فرقاطه من سيسيليا بكتابات الى الكومنده من سر عسكر الكبير (٢ ان لا يقبل هذا الصرف من الفرنساويَّة ولازم يأخذهم اسرى وهذه صورتها:

« ايها الاخ المحبوب اذ قد وصلني مكتوبك وبهِ تذكر انهُ حسب التخليص المعطى لك من ديوان الملك العالي انك تخرج الفرنساويَّة من مصر باي طريقة تراها مناسبة وانك قد فهمت من اكران (٣ وزير الشمله انهم راسلوا الفرنساويَّة على الصلح وانهم يخرجوا من مصر الى بلادهم احرار بكافَّة غنائمهم وانهُ قد اختار هو الصرف على القتال وانهُ من حيث حال الحاضر ارتضيتَ انت معه وانهُ اذا مرُّوا الفرنساويَّة لا تعارضهم . والحال انَّ لامر الذي عندي من الديوان العالي انَّ الفرنساوية الذين في مصر لازم يذهبوا بالسيف ام يخرجوا اسرى . واعلم انهُ ان وصلوا الى هذا الطرف لاجل اعتبارك لم نتأخرهم بل نرجعهم تنقضهم المراكب في مصر. وانا لاجل خاطرك حرَّرت عرضحال مع عرضحالك الى الديوان العالي انهم يقبلوا رجاك بهذا الصرف ولكن هل امر يتعصب جدًّا لانهُ متعلق مع باقي الملوك فيجب بحال وقوفك على جوابنا تعطي خبر الى اكران الوزير انَّ هذا الصرف غير مقبول والى سر عسكرهم كلبر ان هذا صرف لا يتمّ »

ثمَّ مصباح الاحد ارسلني الامير انا والترجمان الى عند الكومنده ومن زود العجق لم قدرتُ افهمه ما فهمته من الامير . ثمَّ من بعد عاقة زائدة قال لي: انا بعد الغدا. اتوجَّه لعنده . ثمَّ بعد الظهر حضر واجتمع مع الامير وحرَّروا كتابات الى الامير حسن (٤ وان يتوجَّه حسين الداهوك الى طرابلس . وبعد رجوع الكومنده

١) الشيخ عياش من قرى ايالة طرابلس

٢) هو الاميرال بأسون الشهير الذي ضرب الاسطول الفرنساوي في ابي قير فدمَّرهُ سنة ١٧٩٨ . ومكتوبهُ المذكور هنا هو الذي عدَّهُ الجنرال كليبر غدرًا وخيانة بعد ان وعدوهم بالامان فحمل بجنوده على الاتراك والانكليز برًّا في هليوبوليس فكبَّدهم الخسائر الفادحة

٣) لم نقف على اخبار هذا الوزير . والشمله او الشملة في بلاد الشام كالشملي وفي التركيَّة عثمانلي

٤) الامير حسن اخو الامير بشير

حضر ترجمان من عند متسلم قبرص يلزم سعادته ويسأل خاطره وان يستقيم الى ان يفرجها الباري وهو يقدم له ما يحتاج. فاستكثر الامير خيره وامر للرسول بخرجية. ثم مصباح الثلثاء حضر الكومنده يفهم الامير انّ مراده يرجع الى المركب وان متى اعتمد على السفر يرسل له الفلايك

وفي الارنكه فيه عادة ملاعيب فتفرّجوا الخدم. وحين نظر كبارة (١ انّ الامير زعلان جاب له صندوق داخله صور الممالك كان جابه قديماً والده الى علي بك عزيز مصر (٢ فتفرّج الامير على ذلك ورجّعه. وبقي الامير ثلاثة ايام ومن المطر لم يصير تسهيل الى السفر. وفي نهار الجمعة حضر قنصل الانكليز وبيده الفرمان الشريف من سعادة الوزير الاعظم الى محضل قبرص فحواه « انّ الامير بشير الشهابي حضر الى اوردي همايون وصودف في وصوله قيام الاوردي المنصور الى الصالحية (٣ وبما ان مزاجه منحرف اقتضى انه يتوجه في البحر ويمكن يطلع الى جزيرة قبرص ليرتاح من سفر البحر فالمراد ان حضر اليها تسوقوا معه كل اكرام وكل واجب وملاحظة. وان وقع في حقه ادنى امر تبقى انت تحت عائدة الدولة العليّة الى ان يطيب خاطره بالانصراف بكلّ صحّة وامان. وهذه اعزّ الخدمات منك لدينا ولتكن متحذّر في امرنا هذا ومتيقّظ من المخالفة.

وهذا الفرمان حين فهم الكومنده تضعضع احوال الامير حسن افتكر انه يميل في الامير الى قبرص ليأخذ راحة ويحرّر الى اخوه فارسل الى ترجمان موسى ديت فاعرض الى سعادة الصدر الاعظم واخرج ذلك الفرمان وارسله تحت يد القنصل. وحين رآه الامير ارسله الى جناب الكومنده فردّ جواب انه بكرة اذا كان الطقس طيب ارسل الى الامير الفلايك واذا هذا الفرمان يبقى مع القنصل

---

١) كذا في الاصل ولم نستدل على الشخص المقصود هنا

٢) علي بك هذا كان نصرانيّ وقع صغيراً في ايدي انخاسين فباعوه في مصر لبعض ممالكها فتقدّم عنده ورافق معه الحجّاج فخلّصهم من غارات الأعراب ثمّ تقدّم في مناصب الدولة حتى اصبح احد اعيانها وثار على الدولة التركيّة وصار في يده الحلّ والربط وحالف ظاهر العمر صاحب عكّة واستولى على الحرمين وقسم من بلاد الشام حتّى حاربه احد عمّاله المدعو بابي ذهب فغلبه ومات سنة ١٧٧٣

٣) مدينة صغيرة على طريق القفل السائر من مصر الى الشام

ونهار السبت اوّل اذار حضر فيساليه في الفلايك يعزموا الامير الى المركب فنهض الامير حالاً وسار الى عند القنصل ودّعهُ وفرّق بخاشيش على اصحاب المحلّ واليسقيه (١ والدائرة وفي الميناء ثمّ نزل الى المركب ولاقاه الكومنده حسب العادة. ومصباح الاحد حضروا القناصل واكثر اهالي البلاد ودّعوا الكومنده . والمساء حضر الترجمان يقول لي انّ الرزّ في برّ الشام قليل والكومنده مراده ان يرسل رزّ الى بيوت الامير واخوه وطلب ان تفهمهُ تحت يد من يرسله . فاستكثر الامير خيره وما امكن يقبل . ومصباح الاثنين قلع المركب من اللّاحة متوجه الى الاسكندريّة

وفي تلك الايّام وصل مركب من البلاد واخبر الكومنده انهُ خرج عمارة فرنساويّة الى هذه النواحي . وفي تلك الليلة حدث ريح عاصف وفي النهار صار المركب في الواسطة وابتدوا يستعدوا للحرب لانهُ بان مراكب عن بعد فدخلوا القباطين فيّقوا الكومنده من النوم . فاخذ الناضور وطلع الى الساري وبعد برهة نزل واخبر الامير انّنا على رشيد (٢ والمراكب فرنساويّة ومتهم اذن متّي ان ينقلوا اثقالهم من دمياط الى الاسكندريّة . ثمّ بعد ساعة ظهر مركب باليك فرجع الكومنده الى الساري والناضور بايده فعرف انهُ مركب تيشيس . وفي عصريّة ذلك النهار صار المركب على جنب فندهُ على القبودان في البرق ان متى هجع البحر يحضر لعنده . وفي الليل صار نوّ عظيم وكبر البحر فاصبح الجمعة قبال البرّ المصري والبحر كبير جدًّا . وفي نهاره حضر القبودان وافهم الكومنده انهُ جاب صورة الجزّار وفرّجنا اياها . والعسر امر ان يرفع بندرة لشارة ان قبودان مركب التيشيس وقبودان مركب الياريك يحضروا لعنده فحضروا وصحبتهم الافندي الذي متوجه الى الاسكندرية كما ذكرنا عنهُ ليعطي اوامر السفر الى الفرنساويّة وبعد ما واجهوا الكومنده رجعوا الى مراكبهم .. (التتمّة لعدد آخر)

---

١) اليَسقية هم خدّام الوزراء والقناصل . اصلها من يَساق وسناهما الامر والنظام اي المأمورون

٢) رشيد احدى مدن مصر الساحليّة الشهيرة